

ثورية المنطق الجدلي الهيجلي والتفكير النقدي عند

" هربرت ماركيزوز " من خلال كتابه (العقل والثورة)

The revolutionary Hegelian dialectical logic and critical thinking of "Herbert Marcuse" through his book (Reason and Revolution)

بلخميقي مباركة

جامعة جيلالي الليابس سيدي بلعباس (الجزائر) ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مخبر الدراسات والأبحاث الفلسفية،
mebarka.belkhemgani@univ-sba.dz

تاريخ الاستلام: 2023-10-28 تاريخ القبول: 2024-12-14 تاريخ النشر: 2024-12-15

ملخص:

لأن المهمة التقليدية والأولى للفلسفة هي النقد، وأن فلسفة هيجل المثالية هي فلسفة عقلية أساسها التفكير الجدلي. ولأن "هربرت ماركيزوز" يعترف بأن دافعا لتأليف كتابه "العقل والثورة" كان من أجل إحياء ملكة عقلية هي "التفكير النقدي"؛ والذي يتعلق بالقدرة على التفكير السلبي. ولأنه إلى جانب هذا كله؛ يذهب إلى تأكيد امتناع الحقيقة إلا في إطار التفكير الجدلي الذي يعبر عن النظرة الكلية للوقائع. حيث ترتبط الذات فيها بالموضوع، وتلتقي القيمة فيها بالواقع.

و لما كان: التفكير عند هيجل في أساسه سلب، فإن السعي من جانب "ماركيزوز" لإعادة الفلسفة لمهمتها الطبيعية (النقدية) من خلال إحياء ملكة التفكير النقدي بما هو سلب لكل واقع معطى، يتجه نحو نقطة ارتكاز أساسها فلسفة هيجل. والهدف من هذه الدراسة إذا؛ هي محاولة توضيح الكيفية التي برّر "ماركيزوز" بها ثورية فلسفة هيجل وإبراز أهمية المنطق الجدلي الهيجلي كتفكير نقدي سلبي بوصفه ثورة على الواقع اللامعقول.

كلمات دالة : التفكير النقدي، جدلية هيجل، السلب، الوضعية، ماركيزوز.

Abstract

Because the traditional task of philosophy is criticism, and Hegel's ideal philosophy is a mental philosophy based on dialectical thinking, and because "Herbert Marcuse" acknowledges that the motive for writing his book "Mind and Revolution" was to revive a mental skill of "critical thinking"; That is, the ability to think negatively. Besides all this, he affirms the truth's reluctance only in the context of controversial thinking reflecting the overall view of the facts, where the self is connected to the subject and the value meets the reality. And when Hegel's thinking was basically negative; then Marcuse sought to restore philosophy to its natural (critical) mission is done by reviving the skill of critical thinking. It tends to build on Hegel's philosophy. This study aims to highlight how Marquise justified Hegel's revolutionary philosophy and the importance of Hegel's argumentative logic as negative critical thinking and as a revolution over absurd reality

.Key words: critical thinking, Hegel's dialectic, Robbery, positivism, Marcuse.

مقدمة:

قد يعتقد البعض أنه من اليسير إدراك حجم الإهتمام والسعي من أجل إعادة الفلسفة لمهمتها الطبيعية (النقدية) من جانب منظري مدرسة فرانكفورت التي عرفت بمسمى النظرية النقدية الاجتماعية، (أنظر التعليق رقم 1) والتي تغذت من نقدها للمجتمع الرأسمالي الغربي عبر أجيالها المتعاقبة. غير أن اتجاه أحد روادها إلى القول بإمكانية وجود نظرية نقدية عمادها لغة ومنطق للتناقض، يطرح نوعاً من التعقيد أكثر.

يطرح "هربرت ماركيوز" (1898-1979) (Marcuse, Herbert)، (أنظر التعليق 2) أساساً جديداً للتعقيد لنظريته النقدية متجها صوب المنطق الجدلي عند هيجل، ويؤكد امتناع الحقيقة إلا في إطار التفكير الجدلي المعبر عن النظرة الكلية للوقائع، حيث ترتبط الذات فيها بالموضوع، وتلتقي القيمة بالواقع، وتبرز الذاتية في صلب الموضوعات. كما يشدد على أهمية هذا النوع من التفكير في فهم بناء الواقع المتناقض بوصفه تحقيق لبناءات تاريخية قوامها الحرية. (ماركيوز، العقل والثورة (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، 2016، صفحة 19)

ويفترض أن إعادة الفلسفة لمهمتها النقدية لا يكون إلا من خلال إحياء ملكة التفكير النقدي بما هو سلب لكل واقع معطى من أجل إعادة بنائه من جديد وفقاً للعقل

كما يشير " إلى أن التفكير عند هيغل , Willhelm, éHegel,Georg (Friedrich) (1770,1831) (أنظر التعليق 3) في أساسه سلب لما هو ماثل على نحو مباشر، وأن السلب هو المقولة الرئيسة للجدل عند، وهو ما يوحى باتجاهه نحو فلسفة هيغل النقدية؛ وإلى المنطق الجدلي الميجلي تحديداً.

لذلك نتساءل: هل ستكون فلسفة هيغل أفضل نقطة ارتكاز لهربرت ماركيز في وجهته النقدية؟

وعليه؛ كيف برّر "ماركيوز" ثورية المنطق الجدلي الميجلي؟ أي كيف استطاع إبرازه كتفكير نقدي سلمي بوصفه ثورة على الواقع لأجل تحويله إلى واقع معقول؟

1. التفكير النقدي عند ماركيز والجدل الميجلي:

تأكيداً على أهمية التفكير النقدي، يتجه ماركيز إلى نقد الحضارة التكنولوجية، حيث أصبح التقدم كماً بدل أن يكون كيفياً. ذلك أن التكنولوجيا قد أحكمت نوعاً من السيطرة المنظمة على الإنسان، والتي قضت على كل تفكير سلمي ناقد مؤسس على الحرية والعقل. ومن منطلق المنطق الجدلي النقدي المحرر للفكر، بما يحويه من مفاهيم للفعل والفكر، يذهب "ماركيوز" إلى القول بإمكانية وجود نظرية نقدية مهيأة للوحدة بينهما. وهذا مشروط باعتمادها على لغة ومنطق للتناقض. (ماركيوز، العقل والثورة) (هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية)، (2016، صفحة 22).

أبد للتقعيد من دعامة صلبة، ولابد لماركيوز من بناء محكم لنظريته النقدية، وهو الأمر الذي يدفعه إلى الإجهاد في بيان الجوانب الإيجابية للفكر السلمي المميز للجدل الميجلي، بوصفه نقطة الارتكاز التي سيعتمد عليها لاحقاً مشيراً إلى أن فكرة العقل ذاتها غير جدلية، كونها تشتمل على الكل. وعلى هذا الأساس، يبين "ماركيوز" نقده للعقل الحدائي الذي تحول من صانع للحضارة والحرية إلى أداة للاستبداد. وحتى أمام محكمة المنطق والتاريخ، تتكشف أخطاؤه بوصفها جزءاً من المعقولة. لذلك لابد من نقد العقل بالعقل ذاته، وإرغامه على الإقرار باحتوائه عناصر لاعقلية. وبمدى كونه ضحية لقوى عجز عن ردها. (ماركيوز، العقل والثورة) (هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية)، (2016، صفحة 24) ومع ذلك

ييدي ثقته في قدرة هذا العقل على تصحيح أخطائه، ومراجعة نتائجه وتصويب مطباته وتوظيفه الإنساني.

2. نقدية المنطق الهيجلي :

ينظر ماركيز إلى العقل على أنه: السلطة الهدامة في المعادلة (العقل = الحقيقة - الواقع)، التي تجمع بين العالم الذاتي والعالم الموضوعي في وحدة متناحرة، فهو يمثل بوصفه عقلاً نظرياً وعقلاً عملياً في آن واحد "سلطة النفي"، التي تقرر الحقيقة بالنسبة إلى البشر والأشياء [...] ولقد كان المشروع الأول للفكر الغربي، هو العمل على إثبات أن حقيقة النظرية والممارسة؛ هي معطى موضوعي، وأنها ليست معطى ذاتياً. وفي ذلك المشروع يكمن أصل المنطق - لا المنطق بمعنى أنه فرع خاص من الفلسفة، بل المنطق كنمط في التفكير، قادر على عقل الواقعي كما لو كان عقلاً (ماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد، 1988، صفحة 124، 123))

وفي هذا يبدو تأكيداً أن الوصول إلى الحقيقة، يقتضي سلب الواقع عن طريق قوة العقل الهدامة إيماناً منه بتلك الوحدة بين النظر والعمل، التي يتطلبها الفكر الغربي، وإقناعه التام بضرورة وجود منطق للتفكير يستطيع إستيعاب الواقع. وهو الأساس ذاته الذي جعله يتجه نحو المنطق الجدلي الهيجلي، والذي تحققت فيه شروط هذا النمط من التفكير، الذي تجتمع فيه النظرية والممارسة، ويحصل فيه التركيب بين الذاتي والموضوعي.

ويعتبر "ماركيز" علم المنطق عند هيجل، اكتمال لبناء مذهبه وتصوراته الأساسية، وترويج لجهوده الفلسفية. مشيراً إلى أنه منطقٌ مادي، ذهب فيه إلى أن مضمون المقولات يحدد شكلها وصحتها. فمقولات الفكر وأحواله تكون مستمدة من مسار الواقع الذي تنتمي إليه. غير أن هيجل لم يكن مجدداً في منطق هذا، إنما أعاد تفسير المقولات الأساسية لميتافيزقا أرسطو دون إبداع مقولات جديدة، مستلهما تلك الدينامية التي فسر بها أشكال الوجود على أنها صور وأنواع للحركة. على أن هذه النظرة الدينامية كانت موجودة قبل هيجل في الفلسفة الألمانية عند كانط وفيشته، غير أن جدة وأهمية منطق تكمن في إكتشاف شكلها المحدد، التي يعرض فيها كتصوير كامل يعكس المسار الفعلي للواقع (ماركيز، العقل والثورة (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، 2016، صفحة 138، 137).

وتأكيداً على نقدية هيجل، يلفت ماركيز الانتباه إلى أنه قدم منطق بوصفه أداة نقدية قبل كل شيء، مستعرضاً أهم نقد لانعزالية الفكر عن المادة المعرفية وتجاوزته للنقد الإبيستيمولوجي. للبحث في هجومه سابقاً على الفصل بين الفكر والواقع. مؤكداً على مهمة المنطق الجدلي في القضاء على تأثير الموقف الطبيعي بما يتسم به من سلب لمقولاته

الجامدة وسلب للطابع الزائف للعالم. ويشير ماركيز إلى أنه بفضل السلبية الكامنة في طبيعة الأشياء ترتبط الأضداد، وكل شيء يناقض ذاته أي أن ماهيته تناقض حالة وجوده المعطاة، فيكون مدفوعاً للدخول في علاقة كلية مع الأشياء، فالإنسان لا يجد هويته إلا في علاقته مع الكل وسلب خصوصيته. (ماركيوز، العقل والثورة) (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، (2016، صفحة 139)

وقد عبّر "ماركيوز" عن ذلك بكون هيجل قد ربط مشكلته التاريخية بمشكلة الصراع بين الذات والموضوع التي عرفتها الفلسفة الحديثة، والتي يثني على كانط في محاولة حلها، على أن إيمان هيجل بالرسالة التاريخية للفلسفة عكسته تصورات ذات دلالة عينية، فالجدل عنده منبثق من الواقع، ومعبر عن بنائه المتناقض. (ماركيوز، العقل والثورة) (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، (2016، صفحة 62) ويعبر عنها "هيجل" بقوله: "فالحاجة إلى الفلسفة تنبعث حين تزول القدرة على التوحد، وتمحى من حياة البشر، وحين تكون المتقابلات قد فقدت رباطها الحي وتفاعلاها." (هيجل، 2007، صفحة 127) وهذا ما يجعل فلسفة هيجل معبرة عن روح عصرها، وناظرة، في حجم التشتت والضياغ الذي غزى العالم الحديث. والميزة الأساسية للتفكير في الجدل الهيجلي تجعله حائزاً على صفة الثورية على الواقع المليء بأنماط التفكير الإيجابي، التي تدعم العبودية وزيف العالم؛ فيكون بذلك فكر ناقد ومحرر، وباحث عن القيم الحقيقية للأشياء.

الجانب الإيجابي للجدل والتحرر من الواقع المعطى:

تبعاً لقناعة ماركيز بخصوبة فلسفة هيجل، ثورتها وقدرتها النقدية على التحرر من زيف الواقع؛ ينتقل ماركيز إلى الجانب الإيجابي للجدل بوصفه شكل للكلية من خلال سلب الجزئي وتكوينه للمفهوم. ويتم خلاله القضاء على الثبات الذي يصفه الموقف الطبيعي على العالم، فيكون هذا الكلي عينياً، يتخذ من الإنسان موضوعاً فعلياً لهذه العملية؛ من خلال سلب الجدل الكلي للأشكال التاريخية المقيدة له ووصولاً للوعي بالحرية. ويصر ماركيز على أن يكون السلب فعلياً لتقديم للكشف عن مضمونه بعد فثائه تماماً بظهور الجديد الذي كان إمكاناً في قلب القديم، والذي يحول دون تحقيقه الشكل السائد، مؤكداً أن كل وضع جديد هو قفزة، ولا إطراد في تقدم العالم (ماركيوز، العقل والثورة) (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، (2016، الصفحات 142-155).

تجدر الإشارة إلى أن حقيقة الأشياء وماهيتها تحيا في المفهوم لدى هيجل؛ فالمفهوم يعبر عن الصورة المنطقية للكلية، على أن الكلي حقيقة فعلية أكثر من الجزئي. ذلك أن الأهمية العينية لهذه الفكرة، تتجلى في تحرر الفرد من الإيديولوجيات التسلطية الحديثة التي تدعي

وطنية الكلية ، وطموحه إلى إيجاد تنظيم اجتماعي أعلى وأ عقل يحقق فيه إمكانات وجوده. (ماركيوز، العقل والثورة) (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، 2016، صفحة 167) ما يلفت في الأمر أن هذا النوع من التفكير يتمتع بالكلية التي يكفلها المفهوم؛ نظريا بما هو خزان للحقائق، وعمليا بما هو بلورة لواقع معقول يتم فيه تحقق الوجود الحر للفرد. وعلى هذا الأساس؛ يصبح المفهوم ذاته عند هيجل منبع للحرية، ومعه يبدو الجدل رافضا للإيديولوجيا التسلطية. وخلال هذا كله يظهر السعي الجاد لدى "ماركيوز" لتبرئة هيجل من الأنظمة الشمولية، ذلك أن منطق يقع على طرف النقيض من نماذج التفكير التي تغذيها.

عن طريق الجدل، يتم تفكيك ذلك التوافق في عالم الموضوعات، والنتائج عن موقف الإنساني الطبيعي، الخالي من الجانب النقدي، فالتفكير الجدلي، قد ربط الفلسفة بالواقع الاجتماعي والموقف التاريخي. وأصبحت تصوراتها تعكس الحرية الفعلية للواقع، كونها صيغت على نمط المضمون الاجتماعي-الدولة التي تحكم المجتمع المدني-الذي تتوقف عليه. أما ما وراءه من أفكار وقيم، فأبعدت إلى عالم الروح، في مذهب الفلسفة الجدلية. وعن طريق الجدل جعل التاريخ جزءاً من مضمون العقل. وقد برهن هيجل على أن القوى المادية والبشرية، قد بلغت من النمو حداً يكفي لمطالبة النظم بتحقيق العقل. (ماركيوز، العقل والثورة) (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، 2016، صفحة 264)

على أن هيجل ينظر للمجتمع المدني بوصفه السلب الضروري لاستعادة الوحدة بين الفرد والدولة، بوصفها الكل الذي يضم مجموع الأجزاء. والتي يعرفها في كتابه " أصول فلسفة الحق " بقوله: هي الوجود بالفعل للفكرة الأخلاقية، فهي الروح الأخلاقي من حيث هو إرادة جوهرية تتجلى ، وتظهر، وتعرف، وتفكر، في ذاتها، وتنجز ما تعرف . وتوجد الدولة على نحو مباشر في الوعي الذاتي للفرد ومعرفته ونشاطه، في حين أن الوعي الذاتي بفضل ميله تجاه الدولة يجد فيها-بوصفها ماهيته وغايته نشاطه ومحصلته- حريته الجوهرية. (هيجل، 2010، صفحة 139). وعند تعرض "ماركيوز" للفلسفة السياسية الهيكلية قد بذل جهداً مضاعفاً لتبرئته من التنظير السياسي الذي يجعل التفكير مهادن للنظام والواقع القائم بإظهاره للجوانب النقدية والثورية فيها.

وعلى هذا الأساس، اعتبر "هيجل" حلقة الوصل بين الشكل القديم والشكل الجديد للنظرية النقدية، أي بين الفلسفة والنظرية الاجتماعية، التي يجعل جذورها نابعة من فلسفة هيجل الاجتماعية والسياسية، وهذا ما يؤكد العنوان الفرعي- هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية- لكتابه "العقل والثورة"، وما تضمنته بعض فصوله التي عالج فيها ما أسماه

بالفلسفة الإيجابية التي تقع على طرف النقيض من فلسفة هيكل السلبية من خلال وضعية كونت وغيره من علماء الاجتماع الذين عملوا على مهادة الواقع باتجاههم نحو علمنة المجتمع وجعل العقل في النظام القائم.

الفلسفة الوضعية (الفلسفة الإيجابية) :

لطالما حاول "ماركيوز" إبراز التعارض الضروري بين المعايير الواقعية والمعايير العقلية في فلسفة هيكل النقدية خاصة الجدل مع الواقع الاجتماعي السائد، والذي تصبح من خلاله فلسفته "سلبية" مثلما سماها خصومه المعاصرون له في مقابل ظهور فلسفة إيجابية (وضعية) تهدف إلى القضاء على تأثيرات اتجاهاته النقدية الهدامة، وفي ظل هذا الصراع يمكن فهم نشأة النظرية الاجتماعية.

يؤرخ ماركيوز للفلسفة الوضعية بالعقد التالي لوفاة هيكل، ويضم فلسفة شتال "Stahl" الوضعية في الدولة، ومحاضرات "شلنج" (Schelling, Friedrich Wilhelm) (1775, 1854) في الفلسفة الوضعية إلى جانب وضعية "أوغست كونت" (1798, 1858) (Comte, Auguste)، ورغم إنكار كونت لهما، مؤكداً أنه بالرغم من اختلاف وضعية "شلنج" عن وضعية "كونت"، إلا أن هناك اتجاهًا مشتركاً بينهما في مقاومة طغيان الترعة القبلية ومحاولة استعادة سلطة التجربة؛ فكانت بمثابة رد فعل واع على الاتجاهات النقدية للمذهب العقلاني الفرنسي والألماني بوجه خاص. حيث وصفت الاتجاهات النقدية للمذهب الهيكلية، بأنها "فلسفة سلبية". ذلك أن فلسفته قد نفت أي واقع لامعقول، وحاولت قياس الواقع بمعايير العقل. (ماركيوز، العقل والثورة) (هيكل ونشأة النظرية الاجتماعية)، (2016، صفحة 224، 223)

ويعتبر نقد ماركيوز للوضعية، هو الوجه الآخر المقابل لنظريته إلى هيكل، فإذا كان هيكل قد استطاع أن يجعل من العقل قوة ثورية بفضل قدرته على السلب والرفض. فإن الوضعية قد جعلت منه قوة محافظة، لأنها تصورت أن مهمته الأولى هي تحليل ما هو موجود على ما هو عليه، وقبول الواقع، واتخاذ موقف إيجابي منه. (زكريا، 1978، صفحة 30)

فلسفة هيكل السلبية في مقابل الفلسفة الوضعية:

للتأكيد التقابل بين ثورية فلسفة هيكل الموسومة بالسلبية، والفلسفة الوضعية المحافظة، يذهب "ماركيوز" إلى القول: أن الرجعيين اعتبروا فلسفة "هيكل" تحدياً للنظام القائم، ووصفوها بالنافية التي تبحث عن إمكانات الأشياء، لعجزها عن معرفة الواقع الفعلي، واكتفائها بالصور المنطقية. وعدّوا الجدل الهيكلية أنموذجاً للسلب الهادم لما هو معطى،

والذي ينكر عليه شرف الواقعية. كما نظر له "شتال" على أنه منطو على مبدأ الثورة. وفهم من عبارة هيجل أن "الواقعي عقلي" تعني أن المعقول وحده هو الواقعي، أي لا وجود للعناصر اللامعقولة واقعيًا.

وفي هذا تلميح منه إلى أن فلسفة هيجل لم تفهم بشكل صحيح بعده، وربما فسرها أعداؤه بما يخدم مصالحهم المحافظة. ويشير "ماركيوز" إلى أن هجوم الوضعية على العقلانيين النقديين كان على جبهتين؛ فقد وقف "كونت" ضد تراث ديكارت وعصر التنوير الفرنسي. وفي ألمانيا كلف "شلنج" بتحطيم مذهب هيجل. وأصبح "شتال" العدو لهيجل والمتحدث باسم الملكية البروسية؛ نظراً لإدراك السياسيين لخطورتها كأداة لهدم الدولة، فكانت بذلك الوضعية منفذاً إيديولوجياً في الوقت المناسب. (ماركيوز، العقل والثورة) (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، (2016، صفحة 325، 326) والواقع أن ماركيوز يحاول رد التهم التي تعرضت لها فلسفة هيجل إلى جذور الصراع الذي عرفته الفلسفة الحديثة بين العقلانية والتجريبية. والذي كرسته الوضعية لاحقاً في عدائها للفلسفة العقلانية النقدية؛ حيث أصبحت أداة وايدولوجيا تحافظ على ثبات الواقع والاستقرار السياسي للدول على عكس الفلسفات الثورية، والتي تعتبر الهيجلية واحدة منها بارتكازها على التفكير الجدلي الناقد.

هذا الهجوم المزدوج للفلسفة الوضعية، هو ما يميز تاريخ الفكر بعد هيجل، حيث ساد الاعتقاد أن الفلسفة السلبية التي حاولت إخضاع الواقع للعقل قد انتهت. وبدأت الدراسة الوضعية للظواهر، وزادت أهميتها خاصة في الفلسفة الاجتماعية والسياسية، مقتنيه بأنموذج الطبيعة، لترد للوقائع شرف الوجود الإيجابي، وترفع مكانة التجربة في المعرفة. بعد أن كانت الهيجلية قد نظرت إلى المجتمع والدولة كعمل تاريخي وإنساني، وفسرتهما من خلال الحرية. فالوضعية -حسب ماركيوز- قد يسرت استسلام الفكر لكل ما هو موجود بعد رفضها تبرير الوقائع أمام محكمة العقل. على أن "كونت" نفسه. قد صرح أن لفظ "وضعي" تعني تعليم الناس أن يتخذوا موقفاً إيجابياً من الوضع السائد. (ماركيوز، العقل والثورة) (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، (2016، صفحة 327)

يستمر ماركيوز في نقده اللاذع لكونت، الذي جعل مهمة علم الاجتماع هي نشر التعاليم السابقة كوسيلة لتأطير العمل السياسي، وطاعة النظام. كما أن رفضها للميتافيزيقا اقترن برفضها لادعاء الإنسان القدرة على تغيير وإعادة بناء الأنظمة بإرادته، لهذا ارتبطت بنظريات الثورة المضادة في فرنسا. (ماركيوز، العقل والثورة) (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، (2016، صفحة 343، 344)

وحتى قبل ظهور المذهب الوضعي، كان هيجل قد اعترف بارتباط باطن بين المنطق الرياضي ومهادنة الواقع؛ فصورية الرياضيات لا تتجه إلى فهم نقدي للوقائع، فيما تعمل نظرية الماهية على تحرير المعرفة من سيطرتها، ومن فلسفة الموقف الطبيعي. فالمعرفة تتعامل مع العالم لتجاوزه، ولما كان المظهر مناقض للماهية، فعلازمة التفكير الجدلي تكمن في القدرة على التمييز وإدراك العلاقة بينهما. (ماركيوز، العقل والثورة) هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية (، 2016، صفحة 159، 160)

وعلى الأرجح أن أدلجة الوضعية وتحولها إلى أداة بيد السلطة، هو ما تسبب في عداء مدرسة فرانكفورت لها. واعتبارها نزعة تبريرية. ومن المؤكد أن هجوم "ماركيوز" على الوضعية، ووضعية كونت خاصة في كتابه "العقل والثورة". ومن بعدها على الوضعية المنطقية في كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد". كان للسبب ذاته، ولكونها تقضي على كل نوع من التفكير النقدي المعارض للواقع. وللسبب ذاته يدافع عن نقدية هيجل المرتبطة أساساً بمنهج الجدلي، بوصفه الإتجاه المقابل للوضعية والذي يجسد معنى الثورة على الواقع. والحاجة إلى استعادة مثل هذا النوع من التفكير لأن ميزته التجدد والتجديد، فلا سبيل لتغيير الأوضاع القائمة ما لم يكن هناك تفكير مضاد نستطيع من خلاله فهم عمق المضامين الواقعية، التي تخدم مصالح المجتمعات الرأسمالية الربحية، والتي تعمل على تكريس ثقافة استهلاكية عمادها الاعلام الترويجي الذي يعمل على خلق حاجات جديدة بغض النظر عن اشباع الحاجات الموجودة من الأساس، وبالتالي قيادة الأفراد باتجاه واحد مادي يضيع معه كل أمل في وجود الإتجاه المعارض والثوري.

على هذا الأساس يدعو ماركيوز إلى إعادة الفلسفة لمهمتها التقليدية النقدية من أجل إحياء ملكة التفكير النقدي بما هي ثورة على الواقع المعطى، وهذا ما تجسده فلسفة هيجل من خلال منطقها الجدلي المبني على السلب. وهو الأمر عينه الذي جعله يتخذ منها نقطة ارتكاز في نظريته النقدية، ومعها يحاول تبرئة هيجل من كل قهمة تجعل فلسفته مهادنة للواقع وخادمة للدولة.

خاتمة:

مما تقدم نخلص للقول أن إعادة الفلسفة لمهبتها النقدية لدى "هربرت ماركيز" تكون من خلال إحياء ملكة التفكير النقدي بما هي سلب للمعطى القائم، ووظيفة التفكير الجدلي السلي تكمن في التغيير الكيفي، بوصفه ثورة على الواقع لأجل تحويله إلى واقع معقول. ووفقاً لهيجل يكون هناك تخارج للمعرفة والوعي في تاريخ الإنسان والطبيعة معاً؛ حيث يتم الانتقال من العقل إلى التاريخ.

وتبعاً لذلك يحاول "ماركيوز" إبراز دور هذا النوع من التفكير في تحرير الإنسان من قبضة الواقع؛ ولن يكون الاتجاه بالتفكير نحو نقد النظام الاجتماعي والسياسي القائم سوى دعوة من جانبه إلى الاتجاه بالفلسفة نحو نقد المجتمع، وعلى ضرورة دمج النظري بالعمل من خلال البحث عن نظرية توحد بينهما، يكون موضوعها الواقع، وأدائها الفكر، ومنهجها النقد.

لذلك، ومن أجل بناء محكم لنظريته النقدية، يجتهد في بيان الجوانب الإيجابية للفكر السلي المميز للجدل الهيجلي، بوصفه نقطة الارتكاز التي سيعتمد عليها لاحقاً مشيراً إلى أن فكرة العقل ذاتها غير جدلية، كونها تشتمل على الكل. وعلى هذا الأساس، يبيّن "ماركيوز" نقده للعقل الحداثي الذي تحول من صانع للحضارة والحرية إلى أداة للاستبداد. وحتى أمام محكمة المنطق والتاريخ، تتكشف أخطاؤه بوصفها جزءاً من المعقولة.

ومع ذلك يبدي "ماركيوز" ثقته في قدرة هذا العقل على تصحيح أخطائه. غير أن التساؤل هنا يطرح حول مدى قدرة هذا العقل ذاته على المراوغة وتبرير هذه الأخطاء؟ ضف إلى ذلك: تحت أي ظرف يمكن لهذا العقل أن يكتشفها؟ مادام مسؤولاً عن تقييد نفسه؟ إذا ما اعتبرنا أن الحرية في الغالب تشهر ضد القيود الخارجية، ومن الصعب بما كان مواجهة الذات ومحاولة تحريرها من قيود من صنعها؟

التعليق:

1. مدرسة فرانكفورت أو "النظرية النقدية الاجتماعية":

إنشأت تسميتها من مركز نشاط مؤسسيها، الذين أنشأوا معهد الدراسات الاجتماعية عام 1924، بجامعة غوته في مدينة "فرانكفورت". ومنذ عام 1932، وبإشراف "هوركهام" عميد المعهد حينذاك، بدأت تصدر "مجلة الدراسات الاجتماعية"، خلال سيطرة الفاشية في ألمانيا، هاجر أعضاؤها إلى أمريكا. جماعة أساتذة سوفيات، موجز تاريخ الفلسفة، ترجمة توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت - لبنان، (ط1)، 1989، ص717.

كان على رأس برنامج مدرسة فرانكفورت نقد الوضعية، وعلمي الاجتماع والنفس، بدعوى خدمة الإيديولوجيا الرأسمالية. وقد فهم سائر فلاسفتها، أن الماركسية هي العلم النقدي للمجتمع. وأن مهمة الفلسفة هي متابعة العملية النقدية، والتحرري عن أشكال الإستيلاّب الجديدة. جورج طرابيشي، 2006، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت-لبنان، (ط3)، ص 711.

2. هربرت ماركيز (1898-1979) (MARCUSE, HERBERT):

ولد في برلين لوالدين يهوديين. درس الفلسفة بها، ثم "فراير بورج" على الفيلسوف الألماني "هايدجر"، وحصل على درجة الدكتوراه عن أطروحته حول "أنطولوجيا هيغل وعلاقتها بفلسفة التاريخ". وفي الوقت ذاته، اهتم بالسياسة، وتعاطف مع الحركة الديمقراطية الاشتراكية الألمانية. هاجر إلى "أمريكا" مع صعود الحكم النازي عام 1933. وقد مكنته إقامته بها، من الاطلاع عن كثب عن حياة أكثر البلاد الرأسمالية، وعن طبيعة المجتمع الصناعي المتقدم. (فؤاد زكريا، هربرت ماركيز، دار الفكر المعاصر، القاهرة - مصر، (د ط)، 1978، ص 5-8).

وقد ارتبط فكر "ماركيز" بمدرسة "فرانكفورت"، وبالتقاليد الفلسفية الألمانية عامة. وأكثر ما يظهر ذلك في مقالاته التي صدرت بالألمانية في كتاب "الثقافة والمجتمع"، وفي "دراسات في السلطة والأسرة"، ثم أصدر بالإنكليزية على التوالي: "العقل والثورة" (1941)، "إيروس والحضارة" (1955)، "الماركسية السوفياتية" (1958)، و"الإنسان ذو البعد الواحد". وآخر نص له كان "البعد الجمالي (نحو نقد الجمالية الماركسية)". (جورج طرابيشي، المرجع نفسه، ص 622).

3. هيغل HEGEL, GEORG , WILLHELM, FRIEDRICH

(1770-1831): فيلسوف ألماني، تأثر بالرومانسية وأضفى على نبراتها رؤية عقلانية غريبة عنهم. في سن الثامن عشر التحق بمدرسة "توبنغن"، في اللاهوت عام 1788، وكانت الثورة الفرنسية على الأبواب أين تضافر الجو الجديد مع الظروف السياسية، وإلتقائه بصديقه "هولدرلين"، في إيقاظ مواهبه العقلية. (طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 721).

4. الفلسفة الوضعية: تعبير عن المذهب الوضعي (POSITIVISME):

عند الفيلسوف الفرنسي "أوغست كونت" (1798-1857) (COMTE, AUGUSTE)، ولفظ الوضعي في الفرنسية (POSITIF)، وفي الإنكليزية (POSITIVE) دلالة على الواقعي، أو الفعلي المستقل عن معنى الشرع الإلهي، وهو بهذا المعنى مرادف للحقيقي والتجريبي، ومقابل للتأملي والخيالي والوهمي. والحالة الوضعية في قانون الحالات الثلاث

مقابلة للحالة الميتافيزيقية، والحالة اللاهوتية. ووضعية "كونت" هي التي ترى أن الفكر البشري لا يستطيع أن يكشف عن طبائع الأشياء، ولا عن أسبابه القصوى وغاياتها النهائية، وإن كان يستطيع أن يدرك ظواهرها، ويكشف عن علاقاتها وقوانينها. والوضعية (POSITIVITE) صفة الفكر الوضعي، وتطلق على: ما يتصل بالواقع، أو على الأحكام الإيجابية، أو على ما يصد عنه.

المراجع:

قائمة المراجع :

- زكريا، ف. هربرت ماركيز، دار الفكر المعاصر، القاهرة، مصر، (1978) .
- ماركيوز، د، الإنسان ذو البعد الواحد . (3.éd) ج، طرابيشي.(Trad. , دار الآداب بيروت.(1988) .
- ماركيوز، د .العقل والثورة(هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية) .(ف. زكريا (Trad. , دار الوفاء ، الاسكندرية، مصر.(2016) .
- هيغل .أصول فلسفة الحق) .(1.éd. 1, Vol. 2). ع. إمام (Trad. , بيروت: دار التنوير(2010) . .
- هيغل، ف. ف. الفرق بين نسق فيشته ونسق شلنغ في الفلسفة) .ن. العونلي.(Trad. , المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان:.(2007) .